رسالة المغرب اللغوية

(للاستاذ عبد الكريم غلاب)

نشرت جريدة «العلم» الغراء (22—5—1967) كلمة لمديرها الاستاذ عبد الكريم غلاب حول فعالية اللغة العربية جاء فيه :

فى منزل الاخ الاستاذ احمد الاخضر استمعت اليوم الى حديثه عن تدرج التفكير فى احياء اللغة العربية عنده ، ثم دخلت مكتبه ، فوجدت نفسي أمام مخبر علمي ليس عماده الكتب المصفوفة والاقلام المبرية ، ولكن عماده صناديق الجذاذات والقواميس المفتوحة هنا وهناك والكلمات المبعثرة فى كل ركن من المكتب تنتظر تصحيحا او توضيحا أو تفسيرا .

وفى جولة قصيرة قمت بها فى هذا المكتب الصغير تبينت أني أمام عالم كيماوي لا امام باحث لغوي ، فالكلمات عند الاستاذ الاخضر مادة خام كأنها مأخوذة من عالم الطبيعة ، ثم تأخذ تكتسي مظاهرها التعبيرية كما تكتسي المادة مظاهرها الوجودية لتستوي اخيرا فى عالم التعبير كلمة لها دلالتها المحدودة كما تصبح المادة صالحة الاستعمال بعد أن تمر بمراحل التكوين الطبيعي .

ومن خلال هذا العمل ادركت ان الاستاذ الاخضر يقوم بعمل جليل وخطير هو تطويع اللغة العربية للتعبير فى المجال العلمي وقد اختار الآن فرع طبقات الارض ليخرج عنه معجم « المتقابل » يسجل فيه الالفاظ العلمية المستعملة فى ابحاث طبقات الارض وباللغات العربية والفرنسية والانجليزية .

لقد بذلت جهود فى هذا الميدان من قبل ، ولكن سعة افق الاستاذ الاخضر واستعداده للبحث وصبره على مكاره البحث العلمي ومعرفته بأصول اللغات ترشح عمله ليكون على راس كل الجهود التي بذلت فى الشرق العربي حتى الآن لاغناء اللغة العربية وتمكينها من التعبير عن ادق المصطلحات العلمية .

مجهود الاستاذ الاخضر ينضاف الى المجهودات التي يبذلها الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله فى مكتب تنسيق التعريب لاخراج معاجم الحضارة والى الجهود التي بذلت فى المركز الوطني للتعريب لاخراج مشروعات معاجم الكيمياء والرياضيات ، وبهذه المجهودات جميعا يساهم المغرب فى عمل علمي كبير هو ايجاد الاداة التعبيرية للعلوم حتى لا تظل اللغة العربية قاصرة وعالة على اللغات الاجنبية .

من هذه المجهودات احب ان استنتج ان اللغة العربية سهلة ميسورة للتعبير فى الميدان العلمي ، وان استخدام العربية كلغة تلقين فى العلوم الكونية لن ينزل بمستوى تعليم هذه العلوم ، بل سيرتفع بها لانها ستصبح قريبة الى ذهن كل تلميذ يصل اليها عن طريق اللغة العربية التي هي اقرب الى فهمه من أية لغة يتعلمها فى المدرسة . فمن الواضح ان ايحاء الكلمة له دلالته فى تفهم المعنى ، والكلمة العربية بالنسبة للعربي موحية — كما ان الكلمة الفرنسية بالنسبة للفرنسي موحية كذلك — والايحاء يختصر المسافة للفهم . ولذلك فأقرب طريق الى تكوين الاجيال تكوينا علميا هي تعريب تعليم المواد العلمية . ووجود مثل هذه المعاجم يسهل مهمة الاساتذة والتلاميذ والطلاب فى نفس الوقت .

اننا نفخر ونحن نرقب هذه الجهود المضنية لايجاد المعاجم والقواميس العلمية ، ونعتبر من رسالة المغرب أن ينهض علماء منه اتسموا بالروح العلمي وبصبر الصابرين ونضال المناضلين ليضعوا لغة العلم بين ايدي الاجيال الحاضرة والمقبلة .

« التيارات الكبرى لحضارة المغرب (بالفرنسية) » واضاف اليه «تاريخ المغرب فى دراسة مقارنة للنصوص العربية والاجنبية » ثم « جغرافية المغرب » ثم «الطب والاطباء بالمغرب » من هذه المجلدات السبع تكونت موسوعة ضخمة ، تعد من المراجع الاساسية للحضارة المغربية ، ولا عجب فالاستاذ عبد العزيز هو استاذ الحضارة والفن بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالاضافة الى ادارة المكتب الدائم للتعريب. فهذا عمل تخصص فيه منذ عشرين عاما ، فاذا عرفنا انه من مواليد عام 1923 ، وانه احرز الليسانس فى الآداب والحقوق عام 1946 ؛ ثم درس العلوم الاسلامية على مجموعة من كبار العلماء بالرباط عجبنا لهذا الذكاء والنبوغ .

ولقد لفت نظري الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله بصورة باهرة ، فى خلال اعداد دراستي عن الفكر والثقافة فى المغرب العربي باقطاره الاربعة فى فترة الاحتلال الفرنسي لهذه الاقطار حتى عام 1956 تقريبا ، لفت نظري بانتاجه الضخم الواسع المتنوع ومنهجه العلمي ، وله الى هذه الموسوعة عن الحضارة المغربية آثار اخرى منها « الفلسفة والاخلاق عند ابن الخطيب » و « الاسلام فى تطور » او الاسلام فى طريق التقدم كتبه باللغة الفرنسية ، وله بالفرنسية ايضا « الفن المغربي »

ومن هنا كان اهتمامي بكتابه عن تاريخ المغرب فى العصر الحديث والفترة المعاصرة ، الذي تحدث فيه عن تاريخ المغرب منذ قيام الدولة العلوية وتجديد وحدة المغرب الى العصر الحديث ، موليا اهتمامه للعصر الاسماعيلي ثم الاستعمار الفرنسي بالجزائر والمقاومة المغربية المسلحة ، والكفاح السياسي لهذه الحماية ، ودور الملك محمد الخامس والشعب فى المقاومة وقد اهتم المؤرخ بحركة الامير عبد الكريم الخطابي فى الريف ، ومضى فى دراسته مفصلا تطور الحضارة والفن ، وموارد الدولة ، ونظم البلديات والتعليم ، والمحاكم الاهلية . ثم رسم صورة رائعة للمقاومة والمطالبة بالاستقلال وقيام الكتلة الوطنية ملتفة حول الملك محمد الخامس .

ولعل اروع ما فى هذه الدراسة ، ذلك المعجم التاريخي عن اهم الاحداث والاعلام والاماكن ، الذي يبدو جم الفائدة للباحث من خارج نطاق المغرب حيث تبدو بعض الكلمات ولها طابع فريد معين » .

وبعد ما توسع المؤلف الجليل فى ايراد جوانب من المعجم التاريخي الذي ضمه الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله الى كتاب تاريخ المغرب ، والذي تناول فيه اكثر من ثلاثمائة مادة اكد انه اتى بذلك ليدلل على منهج البحث العلمي، الذي يبرز دائما فى دراسات عبد العزيز بنعبد الله ، مما يدل على تنوع دراساته وتعمقها واشتمالها على ابحاث التراث واللغة والتاريخ والحضارة .